من عام الى عام

في الساعة الثانية عشر من مساء الحادي والثلاثين من ديسمبر الماضي لسنة عشر وتسعمائة والف كنا نودع عاماً قديماً ونستقبل بالتهليل عاماً جديداً . كنا نودع العقد الاول من القرن العشرين ونستقبل فرحين العقد الثاني . جعله الله فاتحة رفاهية وهناء على الجميع

لا ريب في انهُ لم يشعر احدنا بانصرام عام واقبال عام الا وجعل يستعيد ذكر حوادث عامه المنصرم محزنها وسارّها . ولا شك في انهُ عجب لسرعة تقلب الايام وكثرة حدثانها . فمن عام الى عام قد يصبح الانسان وحيداً بعد ان كان مؤتنساً بالخلان والاصدقاء . او يتيماً بعد ان كان قرير العين بعناية الوالدين . أو قد يصبح متزوجاً بعد ان كان اعزب . أو رئيساً مسيطراً بعد ان كان مرؤوسا خاضعاً . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً . ولكن من يعلم قدر ما يجنيه من العبر والمواعظ التي سطرها الزمن جهبذ الاساتذة وخير المعلمين في كل صفحة من صحائف ايامه التي جعل يقلبها في تلك الساعة

تلك الساعة التي فيها ينقضي عام ويستهل آخر . التي فيها تختم صحيفة من صحائف اعمارنا وتفتح اخرى جديدة . التي فيها تنزل الستار ثم ترفع ونحن على مرسح العام الجديد شارعين في تمثيل دور آخر من أدوار حياتنا . تلك الساعة كان يلزم ان نجعل فيها تصفية لحسابنا وبعد ننظر في فتح اعتمادات جديدة تضمن لنا زيادة الربح وقلة الخسران . أو قل نقيم

استعراضاً عاماً بجنود مواهبنا ومداركنا وناقشها الحساب عن كل ما اتت من خير او شرّ

بمرور عام من حياتنا نجدنا مسوقين الى ظروف جديدة يلزم لها من الاهبة والاستعداد ما لا عهد لنا به من قبل . فبمرور عام من عمر الصبي قد يبلغ به دور الشباب فبعد ان كانت قواه منصرفة الى مقاومة الشغف باللعب واهمال الدرس اصبح من المحتم عليه فتح اعتماد جديد لتدعيم حصونه الحيوية حتى لا يوقعه هواه في محذور وحتى يقضي شبوبيته في عيشة الطهارة والفضيلة . كذلك بمرور عام على الفتاة قد تنتقل من منزل الوالدين الى بيت الحليل حيث تتسلم على كاهلها حملاً جديداً من السيطرة والمسؤولية

مثلوا الحياة بسفينة سريعة الجريان . تنقلنا من ارحام الوالدات الى بطون المقابر او ما بعدها . وفي سيرها مخترقة لجج الدهر المتلاطمة تترك أثراً على اديم التاريخ زكياً او خبيثاً تبعاً لنوع ما تحويه اجربتنا من سلع وذخائر . والناس على الشاطئين يرمقوننا صامتين او مهللين أو آسفين فاذا ما غربنا عنهم قليلاً نظروا بعدنا الى ما تركنا من الآثار التي لا تلبث الا قليلاً حتى تنسخ وتحال الى زوايا النسيان

مثلوها ايضاً بمرسح لكل منا دور يقوم بتمثيله . فيدخل ويفعل ما شاء ثم يخرج والناس ينظرون بين مستحسن ومستهجن . ومادح وقادح

فبمرور العام العاشر بعد التسعمائة والألف من الميلاد قد بلغت بنا السفينة احدى محطات رحلتنا المجهولة الطول . فلنمتخن ما حواه وفاضنا من الزاد ولنسبر غور ما لنا في كل وعاء . فان وجدنا ذخيرتنا صالحة نقية

ما اخترقت بها السفينة عباب التاريخ الا وقد عبق ريحها وزكا ارجها فحمدها الناظرون واثنوا عليها . فلنستكثرنَ من هذا الزاد المبارك ولنضاعفنَ مقداره ولنحافظ على ما نال من نوعه كي لا يسطو عليه اللصوص أو يفسده السوس . وان كنا باختبار ذخيرتنا نرى السوس والعفن قد افسدا بعضها وشوها بعضها الآخر بقع سوداء كريهة حتى انها لا شك بمرورها تركت لنا امام الناظرين أثراً غير حميد ، فلننتهز فرصة بلوغنا هذه المحطة لنفرغ جراباتنا واوعيتنا من كل ما حوت من خبث ، ونطهرها من كل ما اشتملت من سوء ، ونستعيد ملئها ببضاعة الفضل ومكارم الاخلاق حتى يُحمد مستقبلنا وتمحو حسناتنا ما سلف من السيئات

بمرور عام من اجلنا الغير المنتهي اتينا على ختام فصل من ذلك الدور المكلفين بتمثيله على مرسح الحياة . فقبل ان نبدأ فصلاً جديداً يلزمنا ان نتأمل بامعان في الفصل القديم وان كنا اسأنا فيه ام أحسنّا . فان لاحت لنا مواطن ضعف واماكن نقص وتقصير بادرنا باصلاحها وتدبيرها ليزيد عدد حسناتنا في الفصل الجديد وتقل السيئات

قال توما الكمبيسي : لو كنا كل عام نقلع رذيلة واحدة لصرنا كاملين سريعاً

وها قد مر بنا عام او مررنا به . تركنا فيه احراراً نعمل ما نشاء . والآن يجب ان نقدم حسابنا . لنستعد ذكر ايامنا الخوالي من هذا العام ونحاسب انفسنا عن كل ابيض بينها واسود . منها صحائف بيضاء جميلة ستستلفت انظارنا الى حوادث خطيرة نذكرها ونعجب بها — هذه هي

المعارك التي جاهدنا فيها الجهاد الحسن فظفرنا بقلع رذيلة او رزائل كانت لطخة عار علينا فيما مضى . كذا قد يكون منها صحائف سود شنيعة نراها فتقشعر ابداننا ويندي جبيننا حين يثار علينا وخز الضمير . تمنى لو لم تكن ولكنها كانت ولا وسيلة لرد ما مضى الا انه يمكننا باستمرار الجهاد ان نمحو سواد تلك الصحائف ونصيّرها ناصعة البياض فيما يأتي من اعمارنا — تلك الصحائف هي الايام التي فيها زللنا واسأنا التصرف بان ارتكبنا معصية، او نضبنا شراكا للآخرين، او اردنا بهم سوءاً، او سببنا لانفسنا الشقاء، وجلبنا عليها عناء من امور تافهة حقيرة واختلافات طفيفة عرضية كان يمكن مجاوزتها والتسامح فيها حتى كان يتوفر علينا ما قاسينا من الكدر وفقدان السرور

شهرياً تصلنا هذه المجلة . وشهرياً يقرأ كل منا هذه الجملة سائلا نفسه «ماذا اعمل كي ارتقي ؟» . ففي ختام العام الماضي كان يلزم ان يسأل كل منا نفسه هذا السؤال : ما ذا عملت طول هذا العام في سبيل ارتقائي ؟

أتى مراراً ذكر العادات الذميمة عند المصريات . تلك العادات التي بطرحهن لها يخطون خطوة واسعة في سبيل الارتقاء فليت شعري كم من سيداتنا اتى عليهن ختام العام وقد تخلين عن شيء من عاداتهن الذميمة ؟

صيغت نصائح ذهبية غالية واهداها الافاضل الى الشبان والى المتزوجين فكم من هؤلاء عقد النية على ان يبدأ عيشته جديدة ببدء هذا العام الجديد ؟

نظمت درر ويواقيت في السعادة العائلية تزين بها تيجان ارباب

البيوت وتتحلى ببهائها نحور ربات الحجال . لو صانوها ووعيها لأصبحت بيوتنا جنّات تتدفق من تحتها انهار المحبة والسلام

وهذا العام الذي انقضى اذا لم نكن قد اكتسبنا فيه فضيلة جديدة ترفعنا درجة في سلم الارتقاء . او اقتلعنا رذيلة عتيقة كانت عقبة في سبيل ذاك الارتقاء اما نعده خسارة من عمرنا نالتنا ولحقت بنا ؟

فيا ايتها السيدات ويا كل افراد العائلة المصرية ، اعزكم الله وتوج ايامكم بأكاليل السعادة والهناء ، هذا عام جديد وعقد ثانٍ من القرن العشرين فعليها وعليكم تحية وسلام . بحقهما نناشدكم ان تشحذوا غرار عزائمكم للتدريج ضد كل عقبة تعوق تقدمنا وارتقائنا وحلول السعادة في ربوعنا . جاهدوا مطاردة الهموم ما استطعتم لانها نار آكلة تدق العظم دقاً . اكثروا من عقد اجتماعات الانس والانشراح بين عائلاتكم ولا تدعوا الامور الطفيفة تستفحل فتكدر صفوكم . عليكم بالتسامح والتساهل كي لا يمر بكم يوم تذكرونه فيما بعد بالحزن والاسف وتقولون لو اننا تجاوزنا عن ذاك الامر مثلاً لوفرنا على انفسنا ما جنينا من الهم وانقباض العيش . وارعوا في ذلك حق اولادكم الذين يجب ان ينشأوا رائقي الفكر على احسن اهبة للمكافحة في ميدان الحياة والنزال في معتركها . وهو تعالى سميع مجيب نسأله فيمنح جميعنا قوة وسلطاناً بهما نغلب وبهما ننتصر آمين

اسكندز ابراهيم يوسف